Global Gospel
Empower the Poor
Dr. David Platt
November 1, 2009

مساعدة الفقراء

لوقا 10: 25 37 ، يعقوب 1: 27

إذا كان لديك كتابًا مقدّسًا، وآمل أن يكون لديك واحدًا، إفتحه إلى إنجيل لوقا 10. البارحة كانت ذكرى راهب يدعى مارتن لوثر سمّر تلك المفاهيم التسعة والخمسين على باب الكنيسة في "ويتينبرغ" وغيّر مسار التاريخ الأوروبي إلى الأبد. لأن ذلك اليوم شهد ولادة الإصلاح الإنجيلي. وهذا الإصلاح، سواء كنا ندرك ذلك أم لا، نحن مدينون له في يومنا هذا. الخلاص بالنعمة وحدها، بالإيمان وحده في المسيح وحده. بشارة إنجيل مشبّعة بالنعمة مركزها الله، كانت قد غطتها عبر السنوات تعاليم من صنع الإنسان وتقاليد لا ترتكز بالكامل على الإنجيل. هناك الكثير مما يجب أن نتعلّمه عن الإصلاح والكثير مما يجب أن نتعلّمه عن المصلحين.

أريد أن لفت انتباهكم بالأخص إلى العلاقة بين بشارة الإنجيل وإغاثة الفقير. أريدكم أن تروا وأن تفكروا كيف أن جمال الإنجيل مرتبط بالإهتمام بالفقراء. وأريد أن أستعين بمصلح آخر بشكل خاص هو "جون كالفن" الذي ولد في العام 1509. هذه السنة هي الذكرى الخمسمئة لولادة "جون كالفن". وكان كالفن معروفًا أكثر من أي شيء بعرضه للأسفار. لقد علّم كلمة الله سطرًا بسطر وكلمة بكلمة وفصلاً بفصل وسفرًا بسفر.

لو كنتم في الكنيسة التي كان يعظ "جون كالفن" فيها ويرعاها، لكنتم صرفتم حوالي خمس سنوات في دراسة سفر أعمال الرسل. فله حوالي 200 عظة من سفر الأعمال. من ثم كان عليكم أن تسمعوا 46 عظة من رسالة تسالونيكي الأولى والثانية، 186 عظة من رسالة كورنثوس الأولى والثانية، وهناك على التولي 186 و159 عظة من سفر أيوب. هل تتخيلون دراسة سفر أيوب لمدة ثلاث سنوات؟ 200 موعظة من سفر التثنية، 353 موعظة من إشعياء، هذا يعني أنكم قد تصرفون نصف حياتكم في دراسة سفر إشعياء.

ولأضعكم في صورة الأمر فقط، وعظ كالفن نصًا معينًا يوم أحد الفصح في العام 1538، وبعد ذلك منعه مجلس المدينة من الوعظ فيها. لكنه عاد إليه بعد ثلاث سنوات، وفي عظته الأولى، تابع الوعظ من المقطع الذي كان يعظ منه قبل ثلاث سنوات.

لكن هذا لم يكن مجرد تمرين أكاديمي بالنسبة لكالفن. فمن أعظم ما قدّمه كالفن للمسيحية هو إظهار كيف أن الكلمة تلعب دورًا عمليًا خصوصًا في الحياة العامة. كان يعيش في أيام كان فيها الفساد يستشري في الكنيسة، كان فيها كل أنواع المبيعات وإشباع الرغبات، وكانت الكنيسة غارقة في كل ما هو فاخر. وتحدّث كالفن بشكل خاص عن إستعمال الكنيسة للموارد لصالح الفقراء. عندما كان يتحدّث عن الشمامسة في المؤسسات الدينية المسيحية، أريدكم أن تسمعوا ما قاله عن قادة الكنيسة أولئك، وكيف قارنهم مع نظرائهم من الكنيسة الأولى وكيف كانت الكنيسة تستخدم القادة في تلك الأيام. وأريدكم أن تسمعوا كيف يربط البشارة بالعناية بالفقراء.

كَتَبَ كالفن
الكنيسة اليوم توكل إلى الشمامسة مهمة خدمة المذبح وقراءة وترتيل الإنجيل، والله يعلم ماذا أيضًا. لكن لا شيء عن الصدقات، لا شيء عن العناية بالفقراء، لا شيء من كل العمل الذي كانوا يقومون به ذات يوم. الشماس الذي كان خادم الفقراء، كان يقبل ما يعطى له لكي يقدّمه لهم. أما اليوم فلا يحصل الفقير على شيء من هذه الصدقات وكأنها تطرح في البحر. فالكنيسة لم تعطي الشمامسة قرشًا واحدًا من كل الخير الذي يرد الكنيسة والذي يفترض أن يذهب للفقراء، فعلى الأقل نصف ما يرد الكنيسة هو ملكهم.

ما يقوله كالفن هو أن نصف موارد الكنيسة هي ملك للفقير. كان الشمامسة خدامًا لموارد الكنيسة من أجل الفقير وهذا يعني نصف موارد الكنيسة على الأقل. كانت تلك إدانة جلية للكنيسة في أيامه. ويمكنني القول إنها إدانة جلية أيضًا للكنيسة في أيامنا هذه. فنحن نكاد لا نرى في الصورة اليوم أن نصف الموارد يذهب للفقير. سواء كان في هذه الكنيسة أو في نطاق الكنيسة العام الذي نحن جزء منه. نحن نعمل على الوصول إلى هناك، لكن ما أريد أن نلاحظه هو أن التصميم الحازم لنشر بشارة الإنجيل يقودنا إلى التعاطف الشديد مع الفقراء.

أريد أن نلاحظ كيف يسير الأمران معًا. وهذه مسألة مهمة للغاية لأن هناك عدة أنواع من العدالة الإجتماعية التي نسمع عنها في العالم اليوم. ونرى وسائل الإعلام تبوّق أحيانًا من خلال أقنيتها عن العدالة الإجتماعية، وأحيانًا تبوّق هوليوود عن هذا كما أن مصادر أخرى تبوّق به أيضًا. ما أريد أن ندركه هو أنه هناك عناية واهتمامًا ورحمة بالفقير يكون دافعها الواضح بشارة الإنجيل. لأن الإنجيل في قلوب المسيحيين يخلق اهتمامًا وتعاطفًا فريدًا مع الفقير يختلف عن أي شيء آخر في العالم. لأن هناك رحمة تنزل من الله مباشرة على شعبه من خلال الإنجيل الذي يلعب دوره المميز في العالم. وهذا مختلف تمامًا عن أي سبب آخر للعدالة الإجتماعية أو عن اهتمام أو تعاطف يمكن ان نراه في العالم. وأصلّي أن يعطينا الله هذا النوع من التمييز للرحمة في عالمنا اليوم.

أريد أن نقرأ هذا المقطع المألوف من الأسفار المقدّسة، أنا مقتنع من أن هذه واحدة من القصص المألوفة جدًا لدينا لكنها قصة يساء فهمهما أكثر الكل، وأعني مثل السامري الصالح.

أريد أن أتناول القصة آية آية، وأريد أن اتأكد من أننا ندرك عمقها. هناك أمور يجب أن تجعلنا نتشجّع وربما نحن لا نتشجّع لأننا لا ندرك مضمونها الأساس. سأحرص على أن نتناوله آية بآية لندرك كيف يكون قلب الرأفة هذا وهو يعمل، وكيف يمكن أن يكون لدينا نوع الرأفة الذي يتحدث عنه يسوع هنا بالطريقة التي نعيش فيها اليوم.

لوقا 10: 25 "وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلًا: " يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ ٱلْحَيَاةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ؟". في الحقيقة معلم الشريعة هو محام. لكن ليس كما نفكر أنا وأنتم بالمحامين اليوم. نحن نفكر بالمحامين في إطار القوانين المدنية أو الجنائية. لكن هذه صورة خبير في شريعة موسى والشريعة الموسوية وشريعة العهد القديم وكل القوانين والشعائر التي أضيفت لاحقًا إلى اليهودية.

وهذه صورة خبير يعرف شريعة الله عن ظهر قلب ويأتي إلى يسوع ويسأله: "يا معلّم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" (لوقا 10: 25)، وهذا سؤال جيد.

أتمنى لو أن كل قلب وفكر وحياة في هذه الكنيسة يلهجون بهذا السؤال، "ماذا أفعل لكي أرث الحياة الأبدية؟"، فهذا هو سؤال الأسئلة. ليس هناك من سؤال أهم لكي نسعى للإجابة عنه. سيقول العالم، هناك كل أنواع الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة والتي تغرقنا بكل ما هو وقتي وثانوي، "كيف سأطور مهنتي؟"، "كيف سيكون أداء فريقي؟"، كيف سأهتم بهذا أو ذاك الذي هو نصب عيني؟

ولا يحب العدو شيئًا أكثر من أن يجعل عقولنا تركز على تلك الأسئلة فتحيد عن واقع أن كل واحد منا سيستمر للأبد. وكل واحد منا سيمضي الأبدية إما في الحياة والفرح الذي لا نهاية لهما أو في الموت والعذاب الأبدي. لذا لا يوجد سؤال أهم من هذا لتسألوه أو لتجدوا إجابة عنه "ماذا علي أن أفعل لكي أرث الحياة الأبدية؟"، يا الله، إفتح أعيننا لنرى أهمية هذا السؤال، إنه بالفعل سؤال جيد.

إذًا يجيب يسوع "ما المكتوب في الشريعة، كيف تقرأ؟" (لوقا 10: 26)، لقد أجاب عن السؤال بسؤال. ألا تتضايقون عندما يفعل أحد بكم هذا؟ وكان يسوع يجيد ذلك، لكنه يفعل هذا لسبب معيّن. يقول "أنت محامٍ، ماذا يقول القانون؟".

والرجل يجيب "أحبب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك" (لوقا 10: 27). وهو هنا يقتبس من تثنية 6، "الشمعة"، أي الوصية العظمى. من ثم "أحبب قريبك كنفسك" (لوقا 10: 27). وهو يقتبس هنا من لاويين 19: 18. نحن نعلم أن هذا الرجل هو على الطريق الصحيح لأنه في بضعة أماكن من الإنجيل يسألون يسوع السؤال عينه فيعطيهم هذا الجواب.

إذًا نظر إليه يسوع وقال "بالصواب أجبت، إفعل هذا فتحيا". والبعض تعجبوا من هذا. "هل يقول يسوع إنه يمكننا أن نحصل على الحياة الأبدية؟". فلنتوقف هنا لدقيقة ونحاول أن نعرف ماذا كان يسوع يقول هنا بالضبط. فهو يقول "أحبب الرب بكل قدرتك، بكل ما لديك، وأحبب قريبك كنفسك"، هذا هو الطريق للحياة الأبدية، إفعل هذا وستحيا".

الآية 29 تقول "لكنه أراد أن يبرّر نفسه" يعطي لوقا هذا التعليق الصغير هنا لذلك سأل يسوع "ومن هو قريبي" (لوقا 10: 29). لا يجب أن يفوتكم أن هذا الرجل الخبير في الشريعة يريد أن يحدّد من يصلح أن يكون قريبه، لكي يتأكد من أنه يعمل ما يكفي ليرث الحياة الأبدية. هذا هو المفتاح. لأنه إذا كانت الوصية أن يحب قريبه، عليه أن يقيس مقدار محبته لقريبه ليرى ما إذا كانت كافية لتجعله يرث الحياة الأبدية. هذا إذًا هو السؤال الذي يقود إلى هذه القصة في الآية 30.

"إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ" (لوقا 10: 30). كما تعلمون المسافة من أورشليم إلى أريحا هي حوالي 24 كيلومترًا في طريق منحدر. ترتفع أورشليم 3 آلاف قدم عن سطح البحر وتنخفض أريحا ألف قدم عن سطح البحر. فالمسافة نزولاً هي 4000 قدم عبر 24 كيلومترًا. إنها رحلة شديدة الإنحدار ومليئة بالشقوق و التصدعات حيث يمكن أن يختبئ الناس. كانت معروفة بالطريق الدموية لأنه كان من السهل على عصابة ما أو على اللصوص أن يختبئوا في كهف وينقضوا على المارة الغافلين.

وهذا بالضبط ما حدث، لقد تعرض لهجوم من هذه العصابة. هذا الرجل، لنفترض أنه رجل يهودي، كان يمشي في الطريق، ووقع في أيدي اللصوص، فعرّوه من ثيابه وضربوه وتركوه بين حي وميت. وها هو، دون ثياب، دون ممتلكات، مجروح، مضروب، ويكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة.

من ثم تقول الآية 31 " فَصَدّفَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ" (لوقا 10: 31)، صدف أن كاهنًا، وهذا الأسلوب ذاته من الكتابة الذي نجده في سفر راعوث. أتذكرون أنه صدف أن راعوث ذهبت إلى حقل بوعز وصدف أن بوعز أتى ورأى راعوث في ذلك الوقت. وصدف أن اللاوي الذي يعرف ما يعلّمه سفر اللاويين قد مر من هناك، فالشريعة تعلّم أنه يجب الإعتناء بغريب يحتاج إلى عناية. و صدف مرور كاهن يعرف سفر الخروج أصحاح 23 والذي يقول إنه حتى ولو كان لعدوك حمار عالق في حفرة، يجب أن تساعد الحمار وتخرجه من الحفرة، فكم بالأحرى العدو العالق في الحفرة. لذا فالكاهن يعلم. أجل، تضع الشريعة الناس أمام هذه المسؤولية أي أن يساعدوا المحتاجّ، وكم هو رائع أن كاهنًا صدف أن يمر من هناك.

" فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ" (لوقا 10: 31). فما كان منه إلا أن عبر إلى الجهة الأخرى وتابع سيره، وهذا أمر مفاجئ بعض الشيء. الآية 23 تقول " وَكَذَلِكَ لَاوِيٌّ أَيْضًا" اللاوي هو مبدئيًا مساعد الكاهن، وكان مسؤولاً عن الواجبات التحضيرية لتقديم الذبائح في الهيكل، وكان اللاوي يهتم بالهيكل وبصيانته ويقوم بعدة أمور أخرى. وهكذا اللاوي الذي يعرف ما يعرفه الكاهن " إِذْ صَارَ عِنْدَ ٱلْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ" (لوقا 10: 32). هذا هو التعبير ذاته، عبَرَ إلى الجهة الأخرى. وهكذا يزداد التوتر في القصة التي تطرح سؤالاً "من الذي سيهتم بهذا الرجل إذًا؟".

وهنا يذهب يسوع مباشرة إلى بيت القصيد ويقول في الآية 33 " وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا". ما أن نرى هذه الكلمة تظهر في المشهد، لو كنا نسمع هذا بعقلية في القرن الأول، لكان بدأ الدم يغلي في عروقنا فوراً. السامريون، الممقوتون ذو الدم المختلط، المكروهون منذ مئات السنين، المكروهون من اليهود. وكان هناك خلافات عميقة معهم على كل المستويات.

وههنا رجل إقترب إليه كاهن وابتعد عنه، واقترب إليه لاوي وتجاهله، والآن أتى السامري الذي تعلّم ليس فقط أن يدير ظهره للرجل بل أن يدوس عليه. ويمكنكم أن تشعروا بما فكّر به الخبير في الشريعة، "سامري؟". ويقول يسوع "وكان سامري مسافرًا فأتى إلى حيث كان الرجل، وعندما رآه تحنّن عليه" (لوقا 10: 33). رجل من نسل غير نقي، مكروه، يقف عنده في حين أن الكاهن واللاوي لم يفعلا. ماذا فعل هو؟ "ذهب إليه وضمّد جراحه وصبّ عليها زيتًا وخمرًا" (لوقا 10: 34). وهذا يسبب جروحًا جديدة في حياة الخبير في الشريعة بينما كان يسمع القصة. "كلا، هل السامري هو من فعل هذا؟".

" فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَٱعْتَنَى بِهِ" (لوقا 10: 34). يتوقف السامري ويذهب إليه فيرى فداحة جروحه ويبدأ بتضميدها. كيف؟ لقد سُرِق كل شيء من الرجل وثيابه أيضًا. هذا يعني أن السامري يستعمل ما يملكه هو، ثيابه وربما بعض ما يحتفظ به معه. ربما

مزّق كُمَّا وضمد جراح الرجل مستخدمًا ثوبه هو، ويصب الزيت والخمر على الجروح ليجعلها طرية، وليريح الرجل وليمنع أية إلتهابات.

من الواضح أن الرجل لا يستطيع أن يقف، فيحمله السامري بين ذراعيه ويضعه على الحمار ويأخذه إلى نزل حيث يمكنهم أن يعتنوا به. "وفي اليوم التالي أخذ درهمين وأعطاهما لصاحب النزل وقال له إعتنِ به وعند عودتي أوفيك ما أنفقته عليه". (لوقا 10: 35). هذا مذهل. لقد دفع الفاتورة كاملة. وترك حسابًا مفتوحًا مع صاحب النزل "مهما تطلّب الأمر، تأكد أن يحصل هذا الرجل على العناية اللازمة، قدّم له كل ما يحتاج إليه".

عند هذه النقطة صُدِمَ معلم الشريعة وصمت. فنظر إليه يسوع وقال " فَأَيَّ هَؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ ٱللُّصُوصِ؟" (لوقا 10: 36). إنتبهوا إلى أن يسوع قد اعتنى بهذا السؤال. لقد غيّر السؤال كليًا. كان يحاول هذا الخبير في الشريعة أن يحدّد من هو القريب فيتمكن من أن يعرف من عليه أن يعتني به. فيقلب يسوع السؤال رأسًا على عقب ويقول "الأمر لا يتعلق بتحديد من هو قريبك، بل بتحديد ماذا يعني أن يكون الواحد قريبًا لنا؟".

وهكذا سأل يسوع ذلك السؤال، أنظر إلى ردّ معلّم الشريعة في الآية 37 " ٱلَّذِي صَنَعَ مَعَهُ ٱلرَّحْمَةَ" (لوقا 10: 37). فالرجل لم يستطع حتى أن يلفظ كلمة السامري، فهو لم يقل السامري الذي صنع معه الرحمة، كلا بل قال "ٱلَّذِي صَنَعَ مَعَهُ ٱلرَّحْمَةَ"، وكأنه لا يريد أن يعترف بهذا. عندها قال يسوع " ٱذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَٱصْنَعْ هَكَذَا. "

وفي هذه القصة القصيرة، بدّد يسوع أوهام الطبقة الدينية الراقية وهزّ المعلمين اليهود ليدركوا أنه هناك محبة تتجاوز المعرفة الدينية والمكانة الدينية. هناك محبّة لم يبدأوا بعد بإدراكها. لكن ما هو المغزى من هذه القصة؟

المغزى من القصة...

هناك تاريخ كامل من إساءة تفسير هذا المثل. الكثيرون فعلوا بهذا المثل ما فعلوه بأمثال أخرى إذ أخذوا كل تفصيل بمفرده وحاولوا أن يجعلوه يعني أمرًا مختلفًا. وهذا أمر خطير بالنسبة للأمثال لأنه يمكنكم أن تجعلوا

كل شيء يتناسب مع كل ما تريدون قوله. والبعض قالوا "حسنًا، في هذه القصة، الرجل الذي سرق هو الخاطئ الذي ضُرِبَ من أجل خطيته. والسامري هو يسوع الذي يأتي إليه. والكاهن واللاوي يمثلان الشريعة والذبائح لأنها لا تكفي لكي تخلص الإنسان فيسوع وحده يمكن أن يخلص، لذا أتى يسوع وخلصه وأخذه إلى الفندق. الفندق هو الكنيسة حيث يحظى المؤمنون بالعناية. هذا تفسير شائع جدًا لهذا المثل. والبعض ذهب إلى حد القول أن الدرهمين هما فريضتي عشاء الرب والمعمودية للمساعدة على العناية بالأشخاص وإلى ما هنالك. حسنًا هذا تفسير عرضي وليس حكيمًا ولا مسؤولاً.

هذه ليست مجرد قصة عن مساعدة الآخرين

إنها لقصة مألوفة لدينا لدرجة أننا نفكر بشكل تلقائي "لقد سمعت هذه القصة من قبل، إنها عن مساعدة الآخرين. عندما ترى محتاجًا، عندما ترى جائعًا، تعطيهم الطعام. عندما ترى من يحتاج إلى توصيلة، أو شخص على جانب الطريق يحتاج إلى مساعدة فأنت تساعده. هذه هي القصة". وما أريد أن ندركه هو أن هذه القصة ليست فقط عن مساعدة الآخرين، بل أن هناك شيئًا أبلغ هنا. هناك شيئًا أعمق يحدث.

قد تقولون "حسنًا، كيف تعرف أنك لن تأخذها إلى مكان لا يفترض بك أن تأخذها إليه؟". حسنًا، لأن القصة قيلت في إطار معيّن يبدأ بسؤال. وهذا السؤال قد طرح حتى قبل "من هو قريبي؟". ما هو السؤال الأهم في هذا المقطع؟ "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية". هذا هو السؤال الذي يحفّز هذه المناقشة التي تقود إلى هذه القصة.

إنها قصة عن الحاجة إلى قلب جديد

لذا لا يجب أن ننظر إلى هذه القصة بشكل معزول عما سبقها لكن في إطار ما سبقها. نحتاج أن ندرك أن هذه ليست مجرد قصة عن مساعدة الناس. هذه قصة عن الحاجة إلى قلب جديد. وهذه نقطة أساسية هنا. مساعدة الناس هي جزء من القصة، وسنتطرق إلى هذه الناحية بعد قليل، لكن هذه القصة هي عن الحاجة إلى قلب جديد، فكّروا معي بهذا.

لو كانت هذه مجرد قصة عن مساعدة الآخرين، أما كانت لتُقَصّ بطريقة أخرى؟ أما كان يسوع ليحقق هذا بطريقة أكثر فاعلية؟ ربما لو كنا أنا وأنت نريد أن نتناول هذه النقطة، لكنا قلنا لمعلم الشريعة "تخيل رجلاً يهوديًا" أي شخص يستطيع أن يتفاعل معه معلم الشريعة، "كان ذلك الرجل اليهودي يسير في الطريق ورأى رجلاً قد سرقوه وضربوه وهو مستلق هناك نصف ميت. وبينما إقترب اليهودي منه أدرك بأنه سامري. ومع أن هناك مشاعر عميقة من الأحكام المسبقة ضد السامريين، توقف الرجل اليهودي واهتم به وأخذه إلى فندق وأمن له ما يحتاجه. هذه بالفعل قصة عن مساعدة الآخرين والإهتمام بهم.

لماذا إذًا أخذنا يسوع إلى منعطف الكاهن واللاوي ليقودنا إلى النقطة المحورية في القصة أي عندما يعرّفنا بالسامري على أنه البطل؟ لماذا يخبر يسوع القصة بهذه الطريقة؟ فكروا بهذا.

لأن يسوع يعرف أنه ما أن يذكر السامري كبطل القصة، ما أن يذكر السامري فقط، سيطفو على سطح قلب معلم الشريعة الحقد العميق تجاه السامريين. وما يفعله يسوع هو أنه يكشف عن عدم وجود الرحمة وعدم وجود المحبة في قلب ذلك الرجل الذي يحتاج إلى تغيير جذري. يريد أن يظهر للرجل أنه في كونه يريد أن يبرّر نفسه وحقده تجاه السامريين، فهو يظهر انعدامًا كاملاً للمحبة وللرحمة. هذه هي النقطة، هذا الرجل يحتاج إلى قلب جديد.

وإذا كنا نريد أن نرحم فهذا هو المفتاح. كل إنسان يمكنه اليوم أن يخبر العالم عن شخص محتاج ويجب أن نعتني به. هذه ليست الصورة الكتابية عن الرحمة التي نراها في لوقا 10. ما نراه هنا هو شيء تم كشفه في قلوبنا والذي إذا لم يتغيّر فسيعيق قدرتنا على إظهار الرحمة للعالم من حولنا. لكن عندما يتغير هذا الشيء، عندما تغيّر رحمة المسيح قلوبنا، فسوف نظهر رحمة شديدة لا تشبه أي شيء آخر في هذا العالم.

إذًا كيف نحصل على هذا النوع من أحشاء الرحمة؟ كيف يمكننا ككنيسة وكأفراد وكعائلات أن نصبح معروفين بأنه "هناك رحمة تتدفق من تلك الكنيسة، من تلك الجماعة، من هؤلاء الأفراد وتلك العائلات. هناك رحمة تتدفق منهم تبدو مختلفة تمامًا عن أي شيء آخر في هذا العالم". كيف يمكننا أن نحصل على قلب الرحمة هذا.

قلب الرحمة...

أريد أن أريكم ببساطة شديد ثلاث خطوات تجاه قلب الرحمة الذي كان يظهره يسوع.

لاحظوا المحبة التي يطلبها الله منا

وهذه هي نقطة الإنطلاق. عندما سأل هذا المحامي يسوع ماذا عليه أن يفعل ليرث الحياة الأبدية، لم يرشده يسوع إلى الشريعة لأن الشريعة يمكن أن تخلصه. بل أرشده إلى الشريعة لأنها تظهر حاجتنا إلى الخلاص هذا هو المفتاح. ماذا تقول الشريعة؟

للشريعة مطلبان أساسيان يتم التركيز عليهما هنا. أولاً المحبة غير المجتزأة لله، وقلبًا وعقلاً مأخوذين بمحبة الله كليًا وتمامًا. وهذا ما تتطلّبه الشريعة، محبة شديدة لله، محبة غير مجتزأة لله. وثانياً تتطلب الشريعة محبة غير أنانية نحو الآخرين، "أحبب قريبك كنفسك".

فكروا بهذا السامري، يُقبِل السامري على شخص لا يعرفه. الطريقة الوحيدة التي يمكن أن أتصور بها ذلك المشهد هو أن أتخيل تلك الطريق الخطيرة للغاية، تخيلوا أنكم تمشون في زقاق مظلم هنا في أحياء المدينة الداخلية، فترون رجلاً يئن على جانب الطريق. إنه مصاب، من الواضح أن عصابة هاجمته وضربته وتركته ليموت. وعندما ترونه تدركون أن هناك عصابة فعلت هذا به وأنه يمكن أن تكون تلك العصابة تراقبكم في الظلام في هذه اللحظة.

فما هي ردة فعلكم الأولى، أن تركضوا إليه أو أن تركضوا بعيدًا عنه؟ حسنًا، إذا هربتَم من المشهد، يمكن أن تتصلوا بأحدهم وتطلبون منه أن يذهب إلى هناك. لذا دعونا لا نكون قساة جدًا على الكاهن وعلى اللاوي. فلنر أنفسنا في هذه الصورة وندرك أن هذه كانت محبة دون سؤال، دون تردد، لشخص لا يعرفه، شخص من المفترض أن يمقته، لقد ذهب إلى ذلك الشخص، هذا ما فعله السامري، وبدأ يعتني به.

هل فعلت هذا من قبل؟ هل رأيت محتاجًا، بحاجة ماسة وطارئة، وفعلت كل ما بوسعك من دون سؤال ولا تردّد لكي تسدّ حاجته؟ هل فعلت هذا من قبل لشخص ما؟ أظن بأنك فعلت. أظن بأن كل واحد قد فعل هذا لشخص معين. في الواقع، كل واحد منا قد فعل هذا لنفسه.

عندما وجدتم أنفسكم في حاجة ماسة، تحركتم بسرعة دون سؤال أو تردّد لتتأكدوا من تأمين احتياجاتكم. ويقول يسوع "أحبب قريبك هكذا. أحبوا الغرباء، أحبوا أعداءكم هكذا". هل هذا أمر طبيعي؟ بالطبع لا. من يستطيع أن يعيش على هذا المستوى؟ المحبة غير المجتزأة لله، المحبة غير الأنانية نحو الآخرين، من سيحاول أن يبرّر نفسه أمام هذا المستوى؟ لا أحد، وهذه هي العِبرة. فكروا في المحبة التي يطلبها الله منا، وهذا يقود إلى الخطوة الثانية.

إقبلوا المحبة التي يقدّمها لنا الله

هذا هو المفتاح لفهم هذه القصة، علينا أن ندرك بأننا فقراء. لكي نهتم بأمر الفقراء علينا أن ندرك فقرنا نحن. وهذا ما كان يسوع يفعله في قلب الرجل وفي حياته، لكن الرجل لم يكن يفهم هذا، لم يكن يفهمه.

فكروا معي في هذا. عندما قال يسوع "ما هو مكتوب في الشريعة؟"، وأجابه ذاك "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ونفسك وقدرتك، وتحب قريبك كنفسك"، فيقول يسوع عندها "أنت على حق، بالصواب أجبت، إفعل هذا فتحيا". ماذا لو قال الرجل بعد أن سمع جواب يسوع "لا يمكنني أن أفعل هذا. لا يمكنني أن أحب الله من كل قوتي. لا يمكنني أن أحب قريبي مثل نفسي. لا يمكنني أن أظهر هذا النوع من المحبة. إرحمني يا الله، لا يمكنني أن أعيش بحسب هذا المستوى." لو أن هذا الرجل، معلم الشريعة هذا، كان جوابه هكذا، لكانت المحادثة كلها تغيرت، أليس كذلك؟

ما كان ذلك الرجل يحتاجه هو أن يدرك بأنه فقير. لقد ظنّ بأنه غني روحيًا، لكنه كان فقيرًا روحيًا ويحاول أن يبرّر نفسه. لذلك، لكي يكون لدينا قلب الرحمة هذا، علينا أن ندرك فقرنا وأن نحرر الطريق أمامنا لكي نعرف رحمته. ندرك فقرنا فنعرف رحمته.

الحقيقة التي في الأسفار المقدسة هي أننا أنا وأنتم كنا بالفعل أمواتًا بالخطايا، نرتع في العصيان ونستحق الموت الأبدي، والله العلي قد أرسل ابنه الوحيد لكي يشفينا من جروح خطايانا، لكي يقيمنا، لكي يطهرنا ويجعلنا كاملين. ولقد دفع هو ثمن كل ذلك. هذه رحمة الله من نحونا، وهذا هو المفتاح. لن نستطيع أبدًا أن نظهر المحبة الإلهية للأخرين قبل أن نقبل نحن الرحمة الإلهية. لن نستطيع أبدًا أن نظهر الرحمة التي هي من طبيعة الله حتى نختبر بأنفسنا الرحمة التي هي من طبيعة الله. أن نعرف عمق جوهرنا، وهذا ما يجعل منا مسيحيين مدفوعين ببشارة الإنجيل. فإذا لم تصرخوا طالبين الرحمة من الله، فلا يهم مقدار صلاحكم بحسب معايير هذا العالم، فستكونون محدودين في مقدار الرحمة التي ستظهرونها لأننا نحتاج أن يكون في قلوبنا الرحمة التي هي من الله، والتي ستنبع بعد ذلك إلى الآخرين.

قدّموا المحبة التي يرغب الله في أن نقدّمها

هذا هو جمال الأمر، نحن نعرف المحبة التي يطلبها الله منا، نحن نقبل المحبة التي يقدّمها هو لنا. وهذا يقود إلى الخطوة الثالثة، عندما نقدّم المحبة التي يرغب الله في أن نقدّمها. هناك رحمة في داخلنا تنبع منا نحو الآخرين. وهذه هي بشارة الإنجيل أيها الإخوة والأخوات، الرحمة التي دافعها النعمة. وهذا مهم جدًا، لهذا نرى مرة تلو الأخرى في الأسفار المقدسة أن محبتنا لله مرتبطة بمحبتنا للآخرين. لأنه عندما تكون محبة الله أمرًا واقعًا في قلوبنا، عندها فمحبتنا للآخرين تنبع بشكل فائق للطبيعة مما فعله الله في قلوبنا.

محبة المسيح تُلزِمُنا. قلبه، رحمته، نعمته فينا تحولنا وتغير الطريقة التي نرى فيها الآخرين، لذلك فهذا هو المفتاح. أريد أن أعيد هذا ثانية لأنني أريد أن أبقيه نصب أعيننا. ليس الشعور بالذنب هو دافعنا لمساعدة الفقير.

أظن أن علينا أن نواجه الحياة على حقيقتها من حولنا. نحتاج أن نرى الفقير على حقيقته. نحتاج أن نرى غنانا على حقيقته. لكن إذا توقفنا هنا وقلنا "يجب أن نعطي للفقير لأنه لدينا الكثير من المال، لأننا سنشعر بالسوء إذا لم نفعل"، عندها لن يطول الأمر كثيرًا لأنه سيستهلكنا. لذا أريد أن أتجنب هذا.

هذا لا يعني أنه لا يمكننا أن نفتح عيوننا على هذه الحقائق. بل نحتاج أن نرى هذه الحقائق. نحتاج أن ندرك أن ما يحفزنا لخدمة الفقير ليس هو الذنب بل بشارة الإنجيل. لأن لدينا إلهًا قد أرسل ابنه ليصبح فقيرًا حتى نغتني نحن بفقره. هذا موجود في رسالة كورنثوس الثانية 8 و 9 ، هذا إنجيل التشجيع على العطاء، لأن يسوع بطبيعته قد فعل هذا في قلوبنا وفي حياتنا لكي يفيض إلى الآخرين.

لماذا عندما ترون في زقاق مظلم رجلاً يستغيث في وضع خطر تذهبون لمساعدته؟ لماذا تنظرون إلى بائعة هوى أو سكير أو مدمن على المخدرات أو شخص مكروه أو خطِر أو وسِخ أو مريض، لماذا قد تعتبرون من هم في أسوأ الأوضاع؟ لماذا يشدّكم قلبكم إليهم؟ لماذا تذهبون إليهم دون سؤال أو تردد؟

لأنكم تعلمون أنه مع أنكم قد لا تختبرون أبدًا هذه الظروف الجسدية، قد أتى عليكم يوم كنتم فيه مكروهين وكنتم أمواتًا بالخطية. وتعاظم خطر الخطية وأحاط بكم من كل ناحية. ولم يعد يوجد شيء فيكم يمكن أن يجذب الآخرين إليكم. وجاء يسوع وفتش عليكم، ووصل إلى أعماق قلوبكم الجريحة والميتة. وأعطاكم الحياة، وطهّركم، وجعلكم كاملين. إذا أصبح من المنطقي الآن أن تظهروا هذا النوع من الرحمة للآخرين، وأن لا تجلسوا وتختبئوا خلف ستارة الضباب التي أصبحت شائعة في ثقافة المجتمع الإستهلاكي. "حسنًا، إليكم الأسباب التي لا تمكننا من إعطاء الفقراء، هذا وهذا وذاك". أجل، علينا أن نكون حكماء، يجب أن نكون حكماء في كيفية استعمال الموارد التي أعطانا إياها الله. لكن عندما تحوِّل رحمة الله قلوبكم، فالرحمة التي تفيض من قلوبكم إلى الآخرين يكون دافعها الله.

البعض يقولون "حسنًا، هل يفترض بنا حقًا أن نهتم بالفقير الذي جلب الفقر على نفسه؟ ماذا عن الفقير الذي اتخذ قرارات في حياته، قرارات سيئة، والتي جلبت عليه الفقر. هل يفترض بنا مع ذلك أن نهتم به؟ في هذا النطاق، أحب ما قاله "جوناثان إدواردز":

إذا كانوا قد أصبحوا فقراء بسبب تبطّلهم وكسلهم وتدليلهم لأنفسهم، فنحن لسنا مع ذلك مُعفِين من واجب أن نساعدهم إلا إذا استمروا في ارتكاب هذا النوع من السيئات. إذا أعطينا لأنفسنا العذر كيلا نعتني بهم، سنكون نتصرف بطريقة معاكسة لوصية "أحبوا بعضكم بعضًا كما أحبنا المسيح". لقد أحبنا المسيح وأشفق علينا وبذل نفسه لكي يريحنا من كل تلك الحاجات والبؤس التي جلبناها على أنفسنا بسبب حماقتنا وشرورنا. نحن بشكل مستمر بسبب حماقتنا نرمي جانبًا تلك الثروات التي أمنها الله لنا والتي يمكننا بفضلها أن نعيش ونكون سعداء طوال الأبدية، ومع ذلك هو أحبنا.

أجل! كلنا جلبنا الفقر على أنفسنا، وجاء يسوع إلينا وخلّصنا وفدانا برحمته وبمحبته. لذا لا تفكروا بالرحمة بذات الطريقة التي يفكر بها العالم، فتفكيرنا يختلف بشكل جذري عن تفكير العالم. لأن الإنجيل يجري فينا تحولاً...

محبته ملزمة، محبته شاملة. الرحمة المعبَّر عنها في هذا المقطع ليست لمجرد تسيير الأمور. المحبة لا تضع شروطًا حول من علينا أن نحب. من الواضح أن جزءًا من هذه القصة يهدف لأن يشدّد لمعلم الشريعة هذا، على أن الذي يسعى لكي يحدّ من مفهومه لمن هو قريبه، عليه أن يدرك أن قريبه كل من هو محتاج.

نكاد نسمع المواطن الأميركي العادي الواقف هنا بالقرب من يسوع يقول "إلى أي حد علينا أن نذهب في هذا الأمر؟"، أي من البديهي أنه علينا أن نكون حذرين حول هذا الشأن وهذا وهذا. حسنًا، عمن أنا مسؤول بالفعل؟ أليس هذا عمل الحكومة؟ ما لدي بالكاد يكفيني لأعتني بنفسي". ويقول يسوع "أحبب قريبك كنفسك"، وهذا أمر مختلف تمامًا.

إنها رحمة لا تحدّد الأشخاص الذين يجب أن نحبهم، رحمة لا تحدّ كم يجب أن نحبهم. إنه يضمن شفاء هذا الرجل المجروح بالكامل من البداية إلى النهاية. فهو يستمر بالعطاء والعطاء والعطاء، فهو لا يرمي له شيكًا ببساطة ويرحل تاركًا إياه، بل ينخرط في حياة الرجل. لأن محبته تلزمه، فمحبته شاملة، ومحبته مكلفة.

لا تنسوا أن الرحمة تتطلب اتخاذ المخاطر. إنها لمخاطرة كبيرة أن يتوقف في الوادي وأن يذهب إلى إلرجل مخاطرًا بأمانه وبجدول أعماله وصحته وأمواله، كل هذا بسبب رجل لا يعرفه، كل هذا بسبب رجل سيؤنبه بعض الناس في مجتمعه لمجرد حتى أنه ألقى عليه نظرة. إنتبهوا إلى أن الكاهن واللاوي والسامري ثلاثتهم يرون حاجة الرجل، لكن واحداً فقط يقبل المخاطرة ويخاطر بسد حاجة الرجل.

أجل، يتطلّب إظهار الرحمة من الله مخاطر كبيرة، وتضحيات عظيمة، واستثمارًا مضحيًا على الصعيد الشخصي. فالسامري قد تدخل بشكل شخصي حميم في حياة ذلك الرجل. أحببت ما قاله أحد المعلّقين. "كان يسوع يهاجم الإكتفاء الذاتي الذي يعيش فيه الأشخاص المتديّنين الذي يحمون أنفسهم من حاجات الآخرين". أنا لا أرغب في أن أُعَدّ أو في أن تُعَدّوا أنتم بين الذين يحمون أنفسهم من حاجات الآخرين. الذين يبتعدون ويحفظون أنفسهم عن حاجات العالم حولنا في مدينتنا وبين كل الأمم.

يتطلب إظهار الرحمة من الله اتّخاذ مخاطر كبيرة، وتضحيات كبيرة. لكن الرحمة من الله مكافأتها عظيمة جدًا. إليكم الصورة. هذه الكلفة قد دفعها السامري، دون شك، لقد كلّفت السامري وستكلّف كل فرد وكل عائلة وكل كنيسة. عندما نبدأ نسمح لرحمة الله وللبشارة بأن يتدفقا منا إلى هذه المدينة وإلى كل الأمم، ستكون الكلفة كبيرة. لكني أرجوكم أن تأخذوا بعين الإعتبار أن كلفة عدم إظهار الرحمة هي أكبر وأكبر بكثير.

الكلفة عظيمة، كلفة رؤية الحاجة والنظر في الإتجاه الآخر. والكلفة عظيمة على المليار ونصف إنسان الذين لا يعرفون الإنجيل وسيعيشون ويموتون دون أن يسمعوها أبدًا. ستكون الكلفة الأبدية كبيرة عليهم. ستكون الكلفة كبيرة على الستة وعشرين ألف طفل الذين يموتون كل يوم من الجوع ومن أمراض يمكن تفاديها. ستكون الكلفة كبيرة إذا ما استمرينا في إنفاق مواردنا على أنفسنا.

لكنني أريد أن أقول لكم أن الكلفة لن تكون كبيرة عليهم وحدهم، بل ستكون كبيرة علينا نحن أيضًا بينما نسمع عن تلك الحاجات بأذن صمّاء ونراها بعين عمياء. وعندها ستفوتنا الحياة الأبدية، تذكروا سياق القصة. سيفوتنا الفرح الذي لا نهاية له إذ نتلقى محبة الله ونعكسها للآخرين، إلى الناس من حولنا. سيفوتنا الفرح الأبدي والإكتفاء النابع من قلب يفيض بالرحمة.

هل نريد هذا قلبًا كهذا؟ نحن إذًا نعرف المحبة التي يتطلّبها الأمر. لا يمكننا أن نفبرك المحبة تجاه الله والمحبة تجاه القريب. لذا علينا أن نقبل المحبة التي يقدّمها لنا. إصرخوا، أطلبوا أن تنزل الرحمة على نفوسكم وأن تنزل الرحمة إلى قلوبكم، رحمة من الله، وإنجيل مشبّع بالرحمة، يفيض إلى الآخرين من حولنا.

أسأل الله أن نكون كأفرد وكعائلات معروفين بالرحمة على المحتاجين في العالم، التي دافعها بشارة الإنجيل.